

القول الجلي



في حكم التوسل بالنبي والولي

تأليف الشيخ العلامة

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر

رحمه الله تعالى

قام بتصحيحه وإضافة بعض تعليقات عليه

فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري

رحمه الله تعالى

طبع على نفقة بعض إخواننا

محمد بن أحمد

رئاسة الإدارة العامة للبحوث العلمية والدراسات

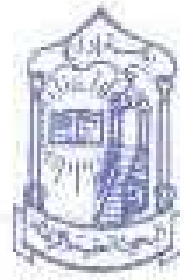
الإدارة العامة للبحوث والدراسات (الرياضية)

الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

الطبعة الثانية

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م



القولُ الجليُّ

في حكم التوسل بالنبي والولي

تأليف الشيخ العلامة

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر

رحمه الله تعالى

قام بتصحيحه وإضافة بعض تعليقات عليه

فضيلة الشيخ اسماعيل الأنصاري

رحمه الله تعالى

طبع في مطبعة بعض المحسنين
تحت إشراف

رئاسة الإدارة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الإدارة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

الطبعة الثانية

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الناشر

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الرياض - المملكة العربية السعودية
الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

③ رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٢هـ

مهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

خضرة، محمد بن أحمد

القول الجلي في حكم التوصل بالنبي والولي - الرياض

٢٨ ص ١٢ × ١٧ سم

ردمك: X-٢٠٨-١١-٩٩٦٠

أ - العنوان

١ - التوصل

٢٢/٤٨٤٥

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ٢٢/٤٨٤٥

ردمك: X-٢٠٨-١١-٩٩٦٠

القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي

تأليف الشيخ العلامة
محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر
رحمه الله تعالى

قام بتصحيحه وإضافة بعض تعليقات عليه
فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري

رحمة الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الزَّجَّاجِ

مقدمة

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾ ﴾

[الإخلاص : كاملة].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ ﴿٣﴾ وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا ﴿٤﴾ [الإسراء : ١١١] ،
الذي ﴿ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] ، ﴿ مَا يَفْجُرُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ الثَّرَى ﴿٤﴾ [طه : ٦] ، القائل : ﴿ مَا يَفْجُرُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ الثَّرَى ﴾

(١) الصمد : السيد ؛ لأنه يُصَمَدُ إليه في الجوانح ، أي : يُقصد ، يقال : صمدت من باب نصره ، أي : قصدت . ا.هـ . [مختار الصحاح] .

(٢) كفواً : أي ولم يكن له أحد يكافؤه ، أي : يماثله من صاحبة أو غيرها . ا.هـ . [تفسير البيضاوي] .

(٣) ولي : يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بموالائه . ا.هـ . [تفسير البيضاوي] .

(٤) الثرى : التراب الندي .

رَحْمَتِهِ فَلَا تُعَذِّبُكَ لَهَا وَمَا يُعَذِّبُكَ فَلَا تُرْسِلْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [فاطر: ٤٢] ، ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ بِمَنْشَأِ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَنَهَبُ لِمَنْ
 يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿١﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَجَعَلَ مَنْ يَشَاءُ
 عَاقِبَةً ﴿١﴾ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿ [النوري: ٤٩، ٥٠] الذي : ﴿ لَهُ
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿
 [الحديد: ٢] ، ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿ [الملك: ١] ، ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَهوَ يُحْيِيهِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ
 يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي
 يُؤْتِنِي بُرُوقًا يُجِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ
 الدِّينِ ﴿ [الشعراء: ٧٨-٨٢] ، الذي يُعطي ويمنع ، ويضر
 وينفع ، ويخفض ويرفع ، ويُعز ويذل بعدله وفضله
 وحكمته ، لا لأجل أحد من خلقه أجمع ، بل ﴿ ذَلِكَ
 فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ [الجمعة: ٤] ،

(١) العقيم: التي لا تلد، وكذلك رجل عقيم إذا كان لا يولد له.
 ا.هـ. [تفسير النسفي].

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ
مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل
لنبيه : ﴿ قُلِ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ
كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَنَذِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

والقائل له : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ
يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

والقائل له : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ
إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن :
٢١ ، ٢٢] .

والقائل : ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ
سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ١٧] .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل : « إذا
سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن

الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأَقلامُ وَجَفَّتِ الصُّحفُ»^(١).

والقائل: «يا أبا بكر، لا يُستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل»^(٢).

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه، وكل عبد اتبع سنته واقتفى أثره وناصره ووالاه.

أما بعد: فهذه رسالة [القول الجلي، في حكم التوسل بالنبي والولي]، كتبها - في غاية العجالة والاختصار - راجي اللحوق بالمتقين الأخيار: محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالسلام، إلى كافة

(١) أخرجه من حديث ابن عباس: أحمد (٣٠٧/١)، والترمذي (٤/٥٧٥، ٥٧٦)، رقم الحديث (٢٥١٦) واللفظ له.

(٢) المشهور من حديث: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل» رواه الطبراني في [مجمع الزوائد] (١٥٩/١٠)، وقال: وقد رواه أحمد بغير هذا السياق، وهو في الأدب في باب القيام.

من اطلع عليها من أهل الإسلام، أنار الله قلوبنا
وقلوبهم بنور العلم والإيمان، وجعلنا وإياهم ممن
اتبع الحق وهدى إليه ونصر السنة والقرآن، وأعادنا
وإياهم من زيغ القلوب ونزغات الشيطان، ومن
الوسائل المحدثة المقربة من النيران، ومن الشرك
بعبادة الرحمن.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فاعلموا إخواني أن التوسل في القرآن العظيم، وفي
كلام السيد المعصوم الأمين، وعند العلماء اللغويين،
والمحدثين والمفسرين، إنما هو: التقرب إلى الله رب
العالمين، بما شرعه على لسان سيد النبيين.

وإليك نصوصهم في ذلك أجمعين:

١- قال في [القاموس] في مادة (وسل):

الوسيلة والواسطة: المنزلة عند الملك، والدرجة
والقربة، ووسل إلى الله تعالى توسيلاً: عمل عملاً
تقرب به إليه. ١. هـ.

- وقال في [المصباح المنير]^(١) في مادة (وسل) :
وسلت إلى الله بالعمل (أسل) من باب وعد :
رغبت وتقربت ، ومنه اشتقاق الوسيلة ، وهي : ما
يتقرب به إلى الشيء - إلى أن قال - : وتوسل إلى ربه
بوسيلة : تقرب إليه بعمل . ا . هـ .

٢ - وقال في [نهاية ابن الأثير] : (وسل) في حديث
الأذان : « اللهم آت محمداً الوسيلة » ، هي في الأصل :
ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به - إلى أن قال - :
والمراد به في الحديث : القرب من الله تعالى^(٢) . ا هـ .

- وقال في [الدر الثير] : الوسيلة : ما يتوصل به إلى
الشيء ويتقرب به ، والجمع وسائل . ا . هـ .

(١) [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي] لأحمد محمد
المقري (٢/٦٦٠) .

(٢) تمام عبارة ابن الأثير : (وقيل : هي الشفاعة يوم القيامة ، وقيل :
هي منزلة من منازل الجنة ، كذا جاء في الحديث . ا . هـ .
(الأنصاري) .

٣- وفي [مفردات الراغب الأصفهاني] في (وسل): الوسيلة: التوسل إلى الشيء برغبة - إلى أن قال: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] حقيقة الوسيلة إلى الله: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة. ا.هـ.

وقال الإمام الطبري في تفسيره: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥] يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه، والوسيلة: هي الفعيلة، من قول القائل: توسلت إلى فلان بكذا، بمعنى: تقربت إليه، ومنه قول عترة:

إن الرجال لهم إليك وسيلة

إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

يعني بالوسيلة: القربة، ثم قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل - وساق أقوالهم وبينها قولاً قولاً. حاصلها: أن الوسيلة: هي التقرب إلى الله بطاعته، والعمل بما يرضيه. ا.هـ.

فصل

أما توسل الصحابة بالنبي ﷺ :

فقد روى الشيخان : أن رجلاً دخل المسجد والرسول ﷺ قائم يخطب ، فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله أن يغثنا ، فرفع النبي ﷺ يديه وقال : « اللهم أغثنا » ثلاثاً ؛ فأمطرت السماء أسبوعاً ، ثم دخل الرجل في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل^(١) ، فادع الله أن يمسكها عنا ، فرفع النبي ﷺ يديه ، وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » إلخ الحديث . قال : فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس^(٢) .

(١) يعني : من شدة المطر .

(٢) متفق عليه من حديث أنس : البخاري (١٦/٢ ، ١٧) ، ومسلم =

توسل الأعمى : وجاء رجل ضريز إلى النبي ﷺ فشكا ذهاب بصره ، فقال له رسول الله ﷺ : « ألا تصبر؟ » فقال : يا رسول الله ، ليس لي قائد ، وقد شق عليّ^(١) ، فقال له : « إن شئت أحرث ذلك فهو خير لك ، وإن شئت دعوتُ » ، قال : فادعُه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء :

«اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك^(٢) نبي الرحمة ، يا محمد ، يا رسول الله ، إني أتوجه بك^(٣)

= (٢/٦١٢-٦١٤) رقم الحديث (٨٩٧).

(١) ليس عند الترمذي قوله : (يا رسول الله ، ليس لي قائد ، وقد شق

عليّ) وإنما هو عند الحاكم والبيهقي ، كما في [القاعدة الجلية في التوسل والوسيلة] لشيخ الإسلام ابن تيمية . اهـ . (الأنصاري) .

(٢) أي : بدعاء نبيك ؛ إذ التوسل بالذوات ممنوع شرعاً ؛ ولذا قال

العلامة العزيمي في شرحه على هذا الحديث : سأل أولاً أن يأذن الله لنبيه أن يشفع له ، ثم أقبل على النبي ﷺ ملتجئاً أن يشفع له ، ثم كر مقبلاً على الله أن يقبل شفاعته قائلاً : فشفعه في . اهـ .

(٣) أي : بدعائك لي .

إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى ، اللهم فشفعه في^(١) ،
وشفعني في نفسي^(٢) .

فردَّ الله عليه بصره^(٣) . رواه الترمذي بسند صحيح
غريب ، انفرد به أبو جعفر ، فإن كان غير الخطمي^(٤)
فهو ضعيف .



(١) زاد أحمد : «وشفعني فيه» .

(٢) ليس عند الترمذي قوله : «وشفعني في نفسي» ، وإنما ورد عند البيهقي
والحاكم من طريق غريب ، كما أوضحت شيخ الإسلام ابن تيمية في
[قاعده الجليله في التوسل والوسيلة] ، وذكر فيها ما يدل على أن هذا
اللفظ لم يثبت عنده كونه محفوظاً . ا.هـ . (الأنصاري) .

(٣) أخرجه من حديث عثمان بن حنيف : أحمد (١٣٨ / ٤) ،
والترمذي (٥٣١ / ٥) رقم الحديث (٣٥٧٨) ، وابن ماجه
(٤٤١ / ١) رقم الحديث (١٣٨٥) .

(٤) وقع في الترمذي : أنه غير الخطمي ، وعلق شيخ الإسلام ابن تيمية
في [التوسل الوسيلة] على ذلك بقوله : (هكذا وقع في الترمذي ،
وسائر العلماء قالوا : هو أبو جعفر الخطمي ، وهو الصواب) .
(الأنصاري) .

فصل

وأما بعد وفاته ﷺ: فقد كانت الصحابة إذا أهمهم أمر، أو تابتهم نائبة ذهبوا إلى خيارهم وأفاضلهم، يتوسلون إلى الله بدعائهم وشفاعتهم:

كما روى البخاري: أن عمر رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس، فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا^(١) ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون)^(٢).

قالوا: وكان من دعاء العباس لما استسقى به عمر: (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة... وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث)، فأرخت السماء مثل الجبال.
أ. هـ من شرح البخاري^(٣).

(١) أي: بدعاء نبينا.

(٢) أخرجه البخاري (٢/١٥، ١٦).

(٣) [فتح الباري] (٢/٤٩٧).

فصل

ومن هذا توسل أصحاب الغار، روى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم.

فقال رجل منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أعقب^(١) قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى^(٢) بي طلب شجرٍ يوماً فلم

(١) أعقب: بفتح الهمزة وكسر الباء، وقيل: بضمها، والغيوب: هو الذي يشرب بالعشي. ومعناه: كنت لا أقدم عليهما في شرب اللبن أهلاً ولا غيرهم.

(٢) نأى: أي بعد.

أَرِح^(١) عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فلبثت^(٢) والقدرح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون^(٣) عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج.

قال النبي ﷺ: «قال الآخر: اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ، فراودتها عن نفسها فامتنعت، حتى ألمت^(٤) بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى قدرت عليها - وفي لفظ -: حتى وقعت

(١) أَرِح - بضم الهمزة وكسر الراء - أي: لم أزد الماشية عن المرعى إليهما حتى ناما.

(٢) فلبثت: أي فمكثت واقفاً، والقدرح: الإناء الذي يشرب فيه.

(٣) يتضاغون: أي يصبحون من الجوع.

(٤) ألمت: أي نزلت بها سنة مقحطة.

بين رجليها، قالت: يا عبد الله، اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقامت عنها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة، ففُرج لهم.

وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق^(١) أزر، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت له فرقه، فرغب عنه^(٢)، فلم أزل أزرعه حتى جمعت بقرأ ورعاءها، فجاءني بعد حين، فقلت: كل ما ترى من البقر ورعائها من أجرك، فقال: اتق الله، ولا تستهزيء، فقلت: إني لا استهزيء بك، خذ ذلك البقر ورعائها، فأخذه فذهب به، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي، ففُرج الله ما بقي، فخرجوا يمشون^(٣).

(١) الفرق: مكيال معروف بالمدينة، وهو ستة عشر رطلاً، وعينه ساكنة وقد تحرك. ا.هـ. [مختار الصحاح].

(٢) رغب عنه: أي أبى أن يأخذه.

(٣) أخرجه من حديث ابن عمر: البخاري (٣/٥١، ٥٢).

وكذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول:
(اللهم امرتني فأطعت، ودعوتني فأجبت، وهذا سحرٌ
فاغفر لي) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية.

وكذا ما روى أبو بكر بن أبي الدنيا بسنده، عن
ثابت، عن أنس قال: (دخلنا على رجل من الأنصار
وهو مريض ثقيل، فلم نبرح حتى قبض، فبسطنا عليه
ثوبه وله أم عجوز كبيرة عند رأسه، فالتفت إليها
بعضنا، وقال: يا هذه، احتسبي^(١) مصيبتك عند الله،
قالت: وما ذاك؟ مات ابني؟ قلنا: نعم. قالت: أحو
ما تقولون؟ قلنا: نعم. فمدت يدها إلى الله، فقالت:
اللهم إنك تعلم أنني أسلمت، وهاجرت إلى رسولك؟
رجاء أن تُعقِبَنِي عند كل شدة فرجاً، فلا تحمل عليَّ
هذه المصيبة اليوم، قال: فكشفت الثوب عن وجهه،
فما برحنا حتى أكلنا معه).

(١) احتسبي: أي اعتدي مصيبتك في جملة البلايا التي يثاب على
الصبر عليها.

إذا علمت هذا كله، فاعلم: أن التوسل المشروع، الذي شرعه الله على لسان نبيه المتبوع، إنما هو التقرب إلى الله تعالى بما شرعه على لسان نبيه ﷺ: من علم أو عمل قلبي أو بدني، أو ترك وكف عن عمل محظور.

فيدخل فيه جميع الطاعات، وترك جميع المعاصي؛ امتثالاً لأمر الشارع. ومن أعظم الطاعات:

دعاء الله تعالى، والتضرع إليه بالأدعية الماثورة، وذكره بآياته وكلماته وصفاته، وسواء كان هذا الدعاء من الداعي نفسه لنفسه أو لغيره، من الوالدين والأقربين والإخوان وسائر المسلمين - فلا مانع منه (١).

(١) ورد في الحديث: «إن أسرع الدعاء إجابة: دعوة غائب لغائب» أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو (٢/١٩) رقم الحديث (١٥٣٥)، وروى مسلم عنه ﷺ: «ما من عبد مسلم يدعو»

ومنه سؤال الله تعالى بصالح الأعمال ؛ كالتوحيد، والإيمان، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وحسن المعاملة، وحسن المجاورة، وحسن الخلق، وبر الوالدين، والجهاد في الطاعات، والعمل على ما يرضي باريء الأرض والسماوات، والإكثار من ذكر الله، والحب في الله، والبغض في الله، والنصيحة لله ولرسوله، وإحياء السنة، وهدم منار البدعة، وترك التقليد، واتباع آثار السلف، واجتناب آراء الخلف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخوف الله في السر والعلانية، والكرم والسخاء، والأناة، والحلم، والحياء، والتقرب إليه تعالى بكل عمل صالح مشروع، وترك كل مذموم محدث ممنوع، وغير ذلك من الطاعات والقربات، كما جاء ذلك صريحاً في الآيات البيّنات، عمن ارتضاهم رب الكائنات

= لأخيه بظهر الغيب، إلاقال الملك : ولك بعمله أخرجه من حديث أبي الدرداء : (٤ / ٢٠٩٤) رقم الحديث (٢٧٣٢).

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٣] ، ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣] ، ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٦] ، ﴿ إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩] .

إذا اتضح لك ما تقدم ، علمت أنه من الجائز لك شرعاً أن تقول في توسلك : اللهم إني أسألك وأتوسل إليك ، بأنك أنت الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، أن تفعل بي كذا وكذا .

أو : اللهم إني أتوسل إليك بالقرآن العظيم ، وبأسمائك الحسنى ، وصفاتك العليا ، أن تفعل بي كذا .

أو : اللهم إني أتوسل إليك بإيماني بسائر الأنبياء والمرسلين ، أو : بإيماني واقتدائي وطاعتي ومحبتني

لنبي محمد ﷺ أن تفعل بي كذا، أو: أتوسل إليك
باقتدائي بالخلفاء الراشدين، والصحابة الهادين
المهدين، ومحبي لجميع عبادك الصالحين، وآل
بيت نبيك الطاهرين، أن تفعل بي كذا.

ولك أيضاً أن تقول: أتوسل إليك بحبي لعبدك
فلان الصالح المطيع لك، ويبغضي لعبدك فلان
العاصي لأوامرك، وأتوسل إليك ببغضي وكراهيتي
للكفر والكافرين بك، وبما أنزلت على رسولك،
والعاصين لأوامرك ونواهيك، أن تفعل بي كذا، وهلم
جرا.

لكن يشترط في هذا كله: أن يكون قائله صادقاً فيه
- غير مدع ولا مغرور - كما كان حال أصحاب الغار
الثلاثة المتقدم ذكرهم.

فصل

وأما التوسل الواقع من بعض العوام بسؤاله تعالى
باشخاص الأنبياء والأولياء والصالحين، مما لا يعد
قربة ولا وسيلة لهم إلى الله؛ لأنه لا عمل لهم فيه:

فإنه بدع من القول وزور، وضلال من اللعين
وغرور، وهو قطعاً غير مشروع، بل هو من عمل
المشركين، الذي سرى إلى بعض المسلمين من أهل
الكتاب، كما سرى إليهم من الوثنيين.

وذلك كقولهم: أسألك بحق النبي عليك^(١)، بحق
قبره المعظم أو قبره عليك، أو بجاهه أو بركته عليك،
يا نبي الله، سقتك على ربك، أو يا سيدنا الحسين، أو

(١) سيذكر المؤلف في القسم الثالث من أقسام التوسل قول الإمام أبي
حنيفة في قول الشخص: أسألك بحق فلان، وبحق أنبيائك
ورسولك، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام، وهو المعبر
(الأنصاري). [النظر: ص ٤٣].

يا ست يا أم هاشم، أو يا بدوي، أو يا متبولي، سقتك
على جدك، وسقت جدك على ربك، يا سيدي فلاناً
أغثني، أو: أنا أستجير بك، أو: أستغيث بك، أو:
انصرتني على عدوي، وعلى من ظلمني.

وأعظم من ذلك أن يقول: اغفر لي وتب علي، كما
يفعله طائفة من الجهال المشركين.

وأعظم من ذلك أن يسجد لقبره، ويصلي إليه،
ويرى الصلاة إليه أفضل من استقبال القبلة، حتى يقول
بعضهم: هذه قبلة الخواص، والكعبة قبلة العوام.

وكذا قولهم: يا آل بيت النبي، نظرة إلينا بعين
الرضا، مَدَّدْ يا أهل الله.

يا رجال الله، العارف لا يعرف، والشكوى لأهل
البصيرة عيب.

خذوا بالكم معنا، راعونا يا أسيادي، نحن في
حسبكم، نحن في جيرتكم، أحلتكم على كل من
ظلمنا وجار علينا تصرفوا فيه، بينوا لي سريعاً فيه.

وكذا قول بعض أرباب العمائم:

يا آل طه عليكم حملي حُيِّبَتْ

إن الضعيف على الأجواد محمول

يا سادتي:

من أمكم لرغبة فيكم جُبِرَ

ومن تكونوا ناصريه ينتصر

يا ابن بنتِ الرسول أنت جواد

والتجاننا إلى حماك المنيع

ساءنا الدهرُ بالخطوب فجتنا

نرتجي من عطاك حسن الصنيع

ومن تكن برسول الله نصرته

إن تلقه الأسدُ في آجامها تجم^(١)

(١) الأجمة: الشجر الملقف، وجمعه أجم مثل قصة، وقصب.

الأجام جمع الجمع، وتجم: قال في [المصباح المشير]: وجم من

الأمريجم وجوماً - أمسك عنه وهو كاره. ا. هـ.

أو:

بالسيد البدوي أحمد ذخرننا

غوث الوري وهو المجير من العطب

يا كعبة الأسرار أنت غياثنا

يا كاشف الكربات يا شيخ العرب

أو كقول بعضهم في صورة شكواه التي رفعها

لأحمد البدوي بعد كلام شنيع قدّمه:

فجئنا حماكم نرفع الأمر سيدي

ونطلب دين الله والله ناصر

وأنت إمام الأولياء ولا ميرا

وأنت غياث الملتجى وهو حائر

إلى أن قال:

فها قد بسطنا بعض شأن نريده

وثم أمور قد حوتها الضمائر

فمنها دخولي في البقا وهدايتي

لأقوم طرق الله وهي المفاتر

وصحة جسم للذين أحبهم
كذلك في العز والعمر وافر
ونصري على الأعداء وجاء مؤيد
وفوز ميبين دائم يتقاطر

إلى أن قال :

فقل يا طويل الباع ها قد أجتكم
بكل الذي ترجون والله جابر
كل هذا مما يعلم الله ورسوله وأهل التوحيد
المخالص أنه عين الشرك والكفر وعين المحادة لله
ولرسوله ﷺ .

فلا حياهم الله ولا بياهم ، ولا جزاهم خيراً ، ولا رضي
عنهم ، حتى يتوبوا ويتبرؤا ويعرفوا الله حقه ، وهذا منهم
هو بعينه كقول وفعل الذين [قال الله تعالى فيهم] (١) :
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ

(١) عبارة قال الله تعالى فيهم : زدناها لاقتضاء المقام ذلك ، وكذلك
زدنا قبل الآيات الآتية الألفاظ المناسبة للمقام . (الأنصاري) .

وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿ [يونس: ١٨] ،
 [والذين قال الله فيهم] ^(١) : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ
 دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ
 يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ
 هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿ [الزمر: ٣] .

فإن الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

عباد الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا
 يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ [الاعراف :
 ١٩٧] ، وقال : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي، فَلَا
 يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ^(٢) أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
 رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۗ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا ^(٣) ﴿ .
 [الإسراء: ٥٦ ، ٥٧] ، وقال : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ

(١) في الأصل (والذين قالوا: ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا

من دونه) الآية. والصواب ما أثبتناه. (الأنصاري).

(٢) الوسيلة: القرية.

(٣) أي: حقيقاً بأن يحلوه كل أحد.

دُونَ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ [سبا:
٢٢].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا
الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[آل عمران: ٨٠]، وقال تعالى عن المجرمين الكافرين: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٥﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٦﴾
تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ
هَدًّا ﴿٨٧﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ
وَلَدًا ﴿٨٩﴾ إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ
عِبَادًا ﴿٩٠﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩١﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

أما سمعتم قول الله تعالى لنيبه ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وأنه ﷺ قام فقال: «يا فاطمة بنت محمد، يا صفية
بنت عبدالمطلب، يا بني عبدالمطلب، يا عباس بن
عبدالمطلب، يا معشر قريش، اشترُوا أنفسكم من الله،

فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً - وفي رواية - أنقذوا
أنفسكم من النار، فإنني لا أملك لكم من الله شيئاً» رواه
مسلم^(١).

وأنه لم يتمكن من الاستغفار لأمه، وقال:
«استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته
أن أزور قبرها فأذن لي» رواه مسلم^(٢).

وقوله له: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ
اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا
مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:
١٨٨].

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿٣١﴾ قُلْ إِنِّي

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة: (١/١٩٢، ١٩٣) رقم الحديث
(٢٠٦) مختصراً، والحديث كاملاً متفق عليه من حديث أبي
هريرة: البخاري (٣/١٩٠، ١٩١)، ومسلم (٢/١٩٢) رقم
الحديث (٢٠٤)، لكن المؤلف ذكره بالمعنى.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة: (٢/٦٧١) رقم الحديث
(٩٧٦).

لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا^(١) ﴿ [الجن: ٢١، ٢٢]، وقوله: ﴿ وَلَوْ لَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٢١﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ^(٢) ﴿٢٣﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزِينَ ﴿ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]، وقوله له: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدُّ قَن كَانَ رِجْوَا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿ [الكهف: ١١٠].

أما قرأتهم قول الله سبحانه في عبده^(٣) ونبيه نوح عليه السلام: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ

(١) ملتحدًا: أي ملجأ ألجأ إليه.

(٢) الوتين: نياط القلب، وقيل: حبل الظهر، وقيل: عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

(٣) في الأصل (حكاية عن عبده). وهو خطأ؛ إذ ليس قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ ﴿ [هود: ٤٥] كلاماً لنوح عليه السلام حتى يقال: إن الله حكاة عنه؛ ولذلك أثبتنا (في) بدل عبارة: (حكاية عن) لتستقيم العبارة.

مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَأْذِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٥، ٤٦﴾ .

فسيد الرسل وسيد ولد آدم، وأول شفيع في الجنة الذي يكون شهيداً على جميع الأمم، ويكون آدم ومن دونه من الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة، مع عظم جاهه، ورفعة درجته، وجليل قدره عند ربه، لم يغن عن أقاربه ولم يملك لهم من الله شيئاً، بل لما همَّ ﷺ بالاستغفار لعمه أبي طالب أنزل الله عليه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصر: ٥٦].

وكذلك أبو الأنبياء (نوح عليه السلام)^(١) لم يتمكن

(١) المشهور عن نوح أنه أول الأنبياء، أما لقب (أبو الأنبياء) فالمشهور به (إبراهيم عليه السلام).

من التشفع لولده وفلذة كبده^(١)، بل نهى الله وزجره وهدده ومنعه أن يقول: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾^(٢) [هود: ٤٥]. وما ذاك إلا لكون ولده كان عاصياً لله ورسوله، فمن أطاع الله قرَّبه إليه ومن عصاه سخط عليه.

ومن ذلك ما حكى الله عن امرأة فرعون: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِي لِي عِنْدَكَ بِئْتَا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١]، فأجاب الله دعاءها، ولم يضرها بطغيان وكفران زوجها، وكما حكى عن امرأة نوح وامرأة لوط إذ قال تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّ

(١) الفلذة: القطعة من الشيء، والجمع فلذذ. اهـ. [المصباح العبري] (٢/٤٨١).

(٢) في الأصل: أن يقول: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥] ولا يخفى أن المعنى عنه هو قوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، ولذلك اقتصرنا عليه. (الأنصاري).

يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

[التحریم: ١٠].

وكذلك الخليل إبراهيم عليه السلام قال لأبيه :

﴿لَا سَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [المنحة: ٤] ،

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ لِأَبِيهِ إِلَّا

عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا بِتَأْتِيهِ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ

مِنهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

وهكذا يكون عدلُ الله سبحانه ومساواته بين أكابر

عباده وأصاغرهم .

ثم إن ههنا نكتة لطيفة ينبغي التفطن لها وهي : إذا

كان هذا فعل الله سبحانه بأقرب الناس إلى أنبيائه الذين

هم أعظم وأفضل وأكرم خلقه في حال حياتهم ، فكيف

تكون الحال مع غير أقاربهم بعد وفاتهم؟ ! وكيف بمن

دونهم بمراحل من الأولياء ؛ كالبدوي ، والمقبولي ،

والدسوقي ، والبيومي ، والصاوي وغيرهم؟ لا شك

أن هذا ممنوع غير مشروع .

والقرآن العظيم ، والذكر الحكيم ، المنزل من لدن

عزير عليهم، ناطق في غير موضع بأن الإنسان لا يجازى إلا بما قدمت يداه من خير أو شر، فلا صالح ولا سيء عمل الآباء ينفع أو يضر الأبناء، ولا العكس، اللهم إلا ما استثنى بالنص^(١):

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَنَزَّ آخِرُ^(٢) ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ نَرْجِعُكُمْ فَبَيْنَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال عز ذكره: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [نصت: ٤٦].

وقال عز شأنه: ﴿ أَمْ لَمْ يَدَّبُّ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَنَزَّ آخِرُ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعَيْهِمْ سَوْفَ بِرَأْيِ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْرِبُهُ

(١) كدعاء الإنسان لوالديه وإخوانه، الأحياء منهم والأموات، وكذا الصلوات.

(٢) ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ أي: من الذنوب ﴿ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ عقوبة ذلك، ﴿ وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَنَزَّ آخِرُ ﴾ يعني: لا تؤاخذ نفس آئمة بإثم أخرى، ولا يؤاخذ أحد بدين آخر.

الجزء الآتية ﴿ [النجم: ٣٦-٤١].

وقال جل علاه: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

يفهم من هذه الآيات أن الأمر ليس بالأمانى، كما قال الله تعالى^(١): ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ، وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

(١) في الأصل: (يفهم من هذه الآيات أن ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ ﴾ [النساء: ١٢٣]، ولا يخفى ما في هذا التصرف؛ ولذلك زدنا ما بين أن وبين ﴿ لَيْسَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ ﴾ الآية، (الأنصاري).

(٢) النقير: نقرة في ظهر الثوابة.

فالذين آمنوا واستقاموا على الطريقة، وعملوا الصالحات، وجاهدوا، وسارعوا في الخيرات بما يرضي باري الأرض والسموات ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، ويقال لهم في الجنة: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤]، ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٩]، وتحية الملائكة ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٤]، ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

والذين اجترحوا السيئات^(١)، وسعوا في الأرض بالفساد، وعملوا ما لا يرضي رب السموات، قال الله فيهم^(٢): ﴿ إِنَّهُمْ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ مَجْرِمًا بَاطِلًا لَّهُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا

(١) اجترحوا: اكتسبوا.

(٢) لم يذكر المؤلف قول الله تعالى في الذين اجترحوا السيئات ﴿ أَمْ =

وَلَا يَحِينُ ﴿ [طه: ٧٤]، وقال: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ
 وَسُعْرٍ ^(١) ﴿ [١٧] يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مِن
 سَفَرٍ ﴿ [القمر: ٤٧، ٤٨]، وقال: ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ
 فَيُخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿ [الرحمن: ٤١]، وقال: ﴿ يَبْصُرُونَهُمْ
 يَوْمَ الْمُجْرِمِ تَوَيَّقِي مِنَّ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنَهُ ^(٢) ﴿ وَصَحَّيْتَهُ
 وَأَخِيهِ ^(٣) ﴿ وَفَصِيلَتِهِ ^(٤) أَلَّتْهُ تَوَيِّبٍ ﴿ [المعارج: ١١-١٤] فيكون
 الجواب له: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأُنزِلَتْ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ^(٣) ﴿ [المعارج:
 ١٥، ١٦]، وقال: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ^(٤) ﴿ طَعَامٌ
 الْأَيْمِ ^(٥) ﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ^(٥) ﴿ كَفَلَى

حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴿ الآية [الجاثية: ٢١] لم يذكره مع
 تلك الآيات التي سردها، ويظهر من ذلك أنه لم يستحضره وقت
 الكتابة، (الأنصاري).

(١) سعر: أي نيران.

(٢) فصيلة: عشيرته.

(٣) لظى: اسم من أسماء النار، والشوى: الأطراف كالأيدي
 والرجلين، وقيل: غير ذلك.

(٤) شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم، والمهل كدردي الزيت الأسود،
 فاعثلوه: أي ادفعوه، الحميم: الماء الحار إذا اشتد غليانه.

الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْحَدِيدِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صَبُّوا
فَوْقَ رَأْسِهِ مِنَ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْكَرِيمُ ﴿[الدخان: ٤٣-٤٩]، ويقال لهم: ﴿كُلُوا
وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦].

فالعاقل الفطن من تدبير وعقل معنى قوله تعالى:
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١) ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤]،
[١٥]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٢) ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾
[الشمس: ٩، ١٠]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ
فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (٣) ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا
فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾
[السجدة: ١٨-٢٠].

- (١) تطهر من الكفر ومعاصي الله، وعمل ما أمر الله به فأدى فرائضه .
(٢) أي: طهرها من المعاصي وأصلحها بالصالحات من الأعمال .
﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠]: أي خابت وخسرت نفس
أصلها الله وأفسدها .

إذا تبين لك هذا وفهمته، فاعلم أن التجاءك ونداءك
ودعاءك غير الله ضرر عليك عظيم، وخطر جسيم،
وفيك وفي أمثالك يقول القرآن الحكيم: ﴿يَدْعُوا مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ
الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى
وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٢، ١٣].

فيا علماء الدين، ويا أئمة المؤمنين، ويا ملوك
المسلمين، أي رُزء^(١) على الإسلام أشد من الكفر؟!
وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك
البيّن واجباً؟! ﴿يَبُئِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ
عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾
[المائدة: ٧٢]، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ
فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٢)
[الحج: ٣١].

(١) الرُزء: - بضم الراء المشددة - الرزية والمصيبة.

(٢) السحيق: البعيد.

إخواني ، اذكروا قول الله لنبيه : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا ^(١) ﴾ [الإسراء: ٢٢] ، وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ^(٢) ﴾ [الإسراء: ٣٩] ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٩﴾ بَلِ اللَّهُ قَائِمٌ وَكُنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦] .

وخلاصة القول الجلي : أن التوسل ينقسم إلى خمسة أقسام :

الأول : ما قدمناه لك في أول الكتاب ، وهو : التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به ، وبملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما شرعه في كتابه على لسان نبيه ﷺ من الطاعات ، والأعمال الصالحات ، وتحريم

(١) مذموماً: أي من غير حمد، مخدولاً: أي بغير ناصر. اهـ.
[تفسير الخازن].

(٢) ملوماً: تلوم نفسك، مدحوراً: مبعداً من رحمة الله. اهـ.
[تفسير البيضاوي].

المعاصي، وهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

الثاني: التوسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته:

وهذا يكون في حياته بطلبنا الدعاء منه، أو دعائه بدون طلب،

ويكون يوم القيامة بما ورد من طلب الناس منه أن يشفع لهم، فيجيب، ويدعو فيجاب.

الثالث: التوسل بحق النبي أو الولي، أو بجاهه أو بركته أو بحق قبره أو قبته: وهذا مذموم، منهي عنه، محرم بلا نزاع. قال شارح [الإحياء] وغيره: وكره أبو حنيفة وصاحبه أن يقول الرجل: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، أو بحق البيت الحرام والمشعر^(١) الحرام، ونحو ذلك؛ إذ ليس لأحد على الله حق.

وفي متون الحنفية: إن قول الداعي المتوسل

(١) المشعر الحرام: جبل بأخر مزدلفة، واسمه قزح، وبه مفتوحة على المشهور. اهـ [المصباح المنير].

بحق الأنبياء والرسل ، وبحق البيت الحرام والمشعر
الحرام مكروه كراهة تحريم . ا . هـ .

الرابع : أن يُقال للميت من الأنبياء أو الصالحين :
ادع الله لي ، أو سَلِّهُ ، أو سَقِّتْكَ على فلان ، وسُقِّتْ
فلاناً على الله في كذا وكذا .

كل هذا مما لا يشك عالم بشريعتنا المطهرة أنه
- قطعاً - من البدع المحرمة ، التي لا يشهد لها كتاب
ولا سنة ، وهي تجزُّ صاحبها شيئاً فشيئاً إلى نداء ودعاء
صاحب القبر نفسه ، فيكفر ، والعياذ بالله .

والخامس : النداء والاستغاثة بغير الله .
كان يقول : يا سيدي فلاناً ، أغثني ، أدركني ،
انصرني على عدوي ، أو علي من ظلمني ، مدد يا
سيدي ، شيء الله يا أهل الله ، نظرةً إلينا بعين الرضا .

فهذا شرك وكفر بالله تعالى .
اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ،
واستغفرك لما لا أعلم ، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر
قلبي حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبه لي .

فصل

وحديث: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم» .

أو «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم» . مكذوب مفترى على رسول الله ﷺ ، وليس له أصل قطعاً في كتاب من الكتب المعتمدة .

ومثله حديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور - أو - فاستغيثوا بأهل القبور» ، موضوع مختلق ، لم يروه أحد من العلماء ، ولم يوجد في شيء من كتب الدين الصحيح كما قاله شيخ الإسلام: ابن تيمية ، وابن القيم في غير موضع .

وكذا حديث: «إن الله تعالى يوكل ملكاً على قبر كل ولي يقضي حوائج الناس» من أفرى الفرى ، وأكذب الكذب على الرسول ﷺ .

وكذا (الحكاية) المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة، من الكذب الظاهر.

فإياك إياك يا ابن الإسلام أن تغتر بمثل هذه الترهات ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]؛ فإنه قال: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣].

ولا تناد إلا الله، ولا تلجأ إلا إلى الله، ولا تستجد ولا تستغث إلا بالله، ولا تدع مع الله أحداً.

واعلم أن الله أقرب إليك ممن تدعوهم ولا يستجيبون لك بشيء، وتنبه لقول ربك: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

أخي، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على ضرك أو نفعك، لا يضرونك ولا ينفعونك إلا بما كتبه الله لك

أو عليك .

أخي، قل : (يا أرحم الراحمين) ثلاثاً، بدل قولك : يا رسول الله ، أو يا سيدنا الحسين ، أو يا شيخ العرب ؛ فقد ورد : (أن من قالها، قال له المَلَك الموكل : إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل) .

قل : (يا ذا الجلال والإكرام) ؛ فقد ورد (الظواهر^(١))
ببإذا الجلال والإكرام^(٢) ، بدل قولك : يا أم العواجز
يا ست ، يا حامي طنطا ، يا سيد ، يا حامي القنديل ، يا
أبا العَلا ! !

قل : يا رب العالمين ، قل : يا حي يا قيوم ، قل : يا
أكرم الأكرمين ، قل : يا بديع السموات والأرض ،
قل : يا علام الغيوب ، قل : يا خير المسؤولين ، عند
قيامك وقعودك ، وشدتك ورخائك ، بدل قولك :

(١) أي : الحوا في دعائكم .

(٢) أخرجه من حديث أنس : أحمد (١٧٧/٤) ، والترمذي

(٥٠٤/٥) رقم الحديث (٣٥٢٥) .

يا سيدي فلاناً ويا سيدي فلانة! ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي
 خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا ﴾ [الإسراء: ٢٢]، ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ
 الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦].



فصل

روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال :
 عجبت لمن بُلي بالضر كيف يذهل ^(١) عنه أن يقول :
 ﴿أَيُّ مَسِيٍّ الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ ^(٢) [الأنبياء :
 ٨٣] ، والله تعالى يقول : ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُمُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ
 مِنْ ضُرٍّ وَعَاتَيْنَاهُمْ أَهْلَهُمْ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
 وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٤] ١٩

وعجبت لمن بُلي بالغم كيف يذهل عنه أن يقول :
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
 [الأنبياء : ٨٧] ١٩ .

(١) الدهول : التسيان والغفلة .

(٢) في الأصل : أن يقول : ﴿وَأَيُّوكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَيُّ مَسِيٍّ الضَّرُّ
 وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، والصواب ما أثبتناه ، وهو
 الموافق لما في كتاب [السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار
 والصلوات] للمؤلف ، ثم إن زيادة (رب) في الآية التي ذكرها
 المؤلف مخالفة للتلاوة . (الأنصاري) .

والله تعالى يقول: ﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُمُ وَبَحِثْنَاهُ مِنْ الْغَيْبِ
وَكَذَلِكَ نُخَوِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وعجبت لمن خاف شيئاً كيف يذهل عنه أن يقول:
(حسبي الله ونعم الوكيل) والله تعالى يقول: ﴿ فَأَنْقَلِبُوا
بِنِعْمَةِ مَنْ أَلَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمَسَّتْهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ
وَأَلَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وعجبت لمن كويده في أمر كيف يذهل عنه أن
يقول: ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾
[غافر: ٤٤]، والله تعالى يقول: ﴿ فَوَقِنَا اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا
مَكَرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ [فاطر: ٤٥]؟
وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة وخاف زوالها
كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا
شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ^(١) ﴾ [الكهف: ٣٩]. ا. هـ . من
شرح [الإحياء].

(١) كذا في الأصل، والصواب (كيف يذهل عنه أن يقول: ما شاء الله
لا قوة إلا بالله، والذين يقولون: الله تعالى يقول: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩] (الأنصاري).

فعليك أيها الأخ المسلم بهذه الأدعية القرآنية، وكذا الأدعية النبوية، فإنها لا يعادلها دعاء ولا يسابقها، ولا يحجبها عن الله حجاب، قل: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا آزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٧٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ ^(١) رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا ^(٢) رَبَّنَا

(١) يقتضي قول المؤلف قبل ذكر هذه الأدعية (قل) الاكتفاء بذكر ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ [الفرقان: ٧٤] إلى آخر الدعاء، لأن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ٧٤] ليس مما يدعو به الداعي، ا.هـ. (الأنصاري).

(٢) يقتضي المقام الاكتفاء بذكر ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا كَبِيرًا﴾ [البقرة: =

أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَكِّبْتَ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿ [البقرة: ٢٥٠].

﴿ رَبَّنَا ءَايَاتِكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

﴿ رَبَّنَا ءَايَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهَيْبَتِنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا ﴾
[الكهف: ١٠].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا
تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾
[الحشر: ١٠].

﴿ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

[٢٥٠] إلى آخر الدعاء؛ لأن قول الله: ﴿وَلَمَّا بَسَرُوا إِجَاءُواكُمْ
وَجُودُوا قَالُوا﴾ [البقرة: ٢٥٠] ليس مما يذكره الداعي في
دعائه. ا. هـ. (الأنصاري).

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [المنحة:

. [٤٤

﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي مَقِيماً لِلصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَخْلِلْ عُقْدَةَ
مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٥-٢٨] (١).

* * *

(١) انظر الأدعية القرآنية المبدوءة بـ (ربنا) أو بـ (رب): [المعجم
المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] ص ٣٦٤ إلى ص ٣٦٥، ص ٣٧٢
إلى ص ٣٧٤، وكذا المبدوءة بـ (اللهم) ص ٩٦.

فصل

من الأدعية النبوية :

«اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمتُ منه وما لم أعلم».

«اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك».

«اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني، وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثأري».

«اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة».

«اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع».

«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال».

«اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصرِي، ومن شر لساني ومن شر منِّي».

«اللهم طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة؛ فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور».

هذا وأمثاله هو الوارد المأثور عن النبي ﷺ، وهو كثير مشهور، فإن أردت الزيادة، فعليك بكتب السنة، خذ منها، واجتهد فيه؛ فإنه مخ العبادة^(١).



(١) انظر هذه الأدعية النبوية وغيرها في الكتب المفردة في هذا مثل: [الأذكار] للنووي، و[الكلم الطيب] لشيخ الإسلام، و[الوابل الصيب] لابن القيم.

خاتمة

في بعض شبه يحتج بها الجهلاء
والمصرحون بالتوسل من أهل العلم

فمن ذلك: احتجاجهم بآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي
سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وهذه الآية لا دليل لهم فيها قطعاً؛ لأن معنى
الوسيلة فيها: التقرب إلى الله بالطاعات، والأعمال
الصالحات. كما تقدم لك في أول الرسالة.

ومنه: احتجاجهم بآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا
خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [بونس: ٦٢].

وهي كالتي قبلها لا دليل لهم فيها؛ لأن أولياء الله
هم الذين تولّى الله هدايتهم بالبرهان، وتولّوا القيام
بحق عبوديته، والدعوة إليه، والنصرة لدينه.

قال الإمام الطبري في معنى الآية: «ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله؛ لأن الله رضي عنهم فأمنهم من عقابه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، والأولياء: جمع ولي، وهو النصير...» إلخ ما قال.

فالآية لا تخص جماعة بعينهم، بل تفيد أن كل عبد اتقى الله، ووالى طاعته، وامثل أوامره، واجتنب نواهيه، لا يخاف إذا خاف الناس، ولا يفرح إذا فرح الناس يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

ومنه: احتجاجهم بآية: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤].

ونجيبهم بقولنا: قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ
 بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِٗٓ أُولَٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا
 يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [الزمر: ٣٣،
 ٣٤].

قال أهل التفسير: الذي جاء بالصدق: هو النبي
 ﷺ، وصدق به: هم المؤمنون، فالذي بمعنى
 الذين^(١) ﴿ أُولَٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿ [الزمر: ٣٣، ٣٤]، فالآية في حق النبي ﷺ،
 واختار ابن جرير كونها في كل من دعا إلى توحيد الله
 وتصديق رسوله والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ.
 أ. هـ. فالذي يفهم من الآية هو: أن كل من آمن وعمل
 صالحاً فله في الجنة ما يشاءه، كما قال تعالى: ﴿ تَرَى
 الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿ [الشورى: ٢٢].

(١) وهي قراءة ابن مسعود: (والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به).

ومنه: احتجاجهم بأيتي: ﴿أَمَوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ﴾^(١)
 ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١).

ونقول لهم: هاتان الآيتان نزلتا في حق الشهداء،
 كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
 وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣، ١٥٤]، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمَوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

والمعنى كما في [تفسير الطبري] وغيره، قال:
 (يقول تعالى جل ذكره: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا
 بِالصَّبْرِ﴾ على طاعتي في جهاد عدوكم وترك معاصي،
 وأداء سائر فرائضي عليكم، ولا تقولوا لمن يقتل في
 سبيل الله: هو ميت؛ فإن الميت من خلقي من سلبته

(١) كذا في الأصل، ولو قال: بآية: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمَوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وبآية: ﴿وَلَا
 تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمَوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل
 عمران: ١٦٩] لو قال هذا كان أوضح. اهـ. (الأنصاري).

حياته وأعدته حواسه فلا يلتذ لذة، ولا يُدرك نعيماً، فإن من قُتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي أحياء عندي، في حياة ونعيم، وعيش هنيء، ورزق سنيء، فرحين بما آتيتهم من فضلي وحبوتهم به من كرامتي) ا. هـ.

والآية الثانية: تفيد أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش). ا. هـ. [تفسير الطبري].

ومنه آية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْقُلُوا رَعِينَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤].

والجواب: أن نقول: سبب نزول هذه الآية - كما ذكره المفسرون - أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله - من المراعاة - أي: أرعنا سمعك وفرغته لكلامنا.

وكانت هذه اللفظة سبأً قبيحاً بلغة اليهود، ومعناها: اسمع لا سمعت. وقيل: الراعن عندهم الخطأ، وقيل: من الرعونة: إذا أرادوا أن يحمقوا

إنساناً قالوا: (راعنا)، يعني: أحقق.

فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين، قالوا: - فيما بينهم - كنا نسب محمداً سراً، فأعْلَثُوا بِهِ الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها، - وكان يعرف لغتهم - فقال لليهود: لئن سمعتها من أحدكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فأنزل الله: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، فأين حجنتكم أيها القبوريون؟!

ومنه: احتجاجهم بآية: ﴿وَكَاثُوا مِنْ قَبْلُ

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩].

والجواب: أن نقول: قال إمام المفسرين الطبري:

﴿وَكَاثُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول:

يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب،

يعني بذلك أهل الكتاب، فلما بعث الله محمداً ورأوه

من غيرهم كفروا به وحسدوه - إلى أن قال - : كانوا

يقولون : اللهم ابعث لنا هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا ، حتى يعذب المشركين ويقتلهم ، فلما بعث الله محمداً ورأوه من غيرهم كفروا به ، حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله ، فقال الله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

ومنه : احتجاجهم على جواز نداء غير الله والاستغاثة به بحديث : «إن الناس يوم القيامة يستغيثون بأدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ» .

والجواب : أن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا تنكرها ، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَاسْتَعِذْهُ الْوَلِيُّ مِنَ شَيْعَتِهِ (١) عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص: ١٥] ، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في

(١) شعبة الرجل : أتباعه وأنصاره. اهـ [مختار الصحاح].

الحرب أو غيره مما يقدر عليه المخلوق .
وإنما ننكر استغاثة العباد بالمقبورين من
الصالحين .

وإذا فهمت هذا : فاعلم أنه لا بأس بطلب المعاونة
من الإخوان في كل ما يقدرون عليه .

وكذا من المشروع ذهابك إلى بعض الصالحين
الأحياء - لا الأموات - لطلب الدعاء منهم ، وأما بعد
وفاتهم فممنوع دعاؤهم والاستغاثة بهم ، بل
المطلوب الدعاء لهم .

ومنه : احتجاجهم بأن هؤلاء الأنبياء ومن دونهم
من الأولياء والصالحين الأموات ، واسطة وسبب بيننا
وبين الله في قضاء مصالحنا وجلب منافعنا ودفن
مضارنا ؛ لأننا لا نقدر أن نصل إلى الله بغير ذلك .

والجواب عن ذلك : ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية
في رسالته [الواسطة بين الخلق والحق] وهو :

الحمد لله رب العالمين ، إن أراد بذلك أنه لا بد من

واسطة تبلغنا أمر الله، فهذا حق؛ فإن المخلوق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر به وما ونهى عنه، وما أعدّه لأوليائه من كرامته، وما وعد به أعداءه من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنی، وصفاته العلیا، التي تعجز العقول عن معرفتها، وأمثال ذلك، إلا بالرسول الذين أرسلهم الله إلى عباده.

فهذه الوسائط تُطاع وتُتبع ويقتدى بها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وإن أراد بالواسطة: أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجون إليه فيه.

فهذا من أعظم الشرك، الذي كفر الله به المشركين حيث اتخلدوا من دون الله أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم

المنافع ويجتنبون المضار .

لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق ، قال الله :
﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبا: ٢٢، ٢٣] .

وقال تعالى : **﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾** (١)
 [الإسراء: ٥٦، ٥٧] .

وقالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة ، فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً ،

(١) أدى سقوط هذه الآية الكريمة من الأصل إلى إيهام كون تفسيرها للآية التي قبلها ، ا. هـ . (الأنصاري) .

وأنهم يتقربون إلى الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، - إلى أن قال - :

فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط : يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلبَ المنافع ودفعَ المضار، مثل أن يسألهم غفرانَ الذنوب، وهدايةَ القلوب، وتفريجَ الكروب، وسدَّ الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين .

قال : وَمَنْ سَوَى الْأَنْبِيَاءِ، مِنْ مَشَائِخِ الْعِلْمِ وَالْدِينِ :

فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته، يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم، فقد أصاب في ذلك .

ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه : كالحُجَّابِ الَّذِينَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَرَعِيَّتِهِ، بِحَيْثُ يَكُونُونَ هُمْ يَرْفَعُونَ إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَ خَلْقِهِ، فَاللَّهُ إِنَّمَا يَهْدِي عِبَادَهُ وَيَرْزُقُهُمْ بِتَوْسِطِهِمْ، فَالْخَلْقُ يَسْأَلُونَهُمْ وَهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ، كَمَا أَنَّ الْوَسَائِطَ عِنْدَ الْمُلُوكِ يَسْأَلُونَ الْمُلُوكَ الْحَوَائِجَ لِلنَّاسِ ؟

لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا
سؤال الملك.

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه، فهو كافر
مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء
مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله
أنداداً.

إلى أن قال: والمقصود هنا: أن من أثبت وسائط
بين الله وبين خلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك
والرعية فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عباد
الأوثان. اهـ باختصار.

وكذا: احتجاجهم بحديث: «حياتي خير لكم،

ومماتي خير لكم».

وهذا الحديث ذكره في [الجامع الصغير] عن
الحارث عن أنس، وضعفه هو وشارحه، وذكره بعده
أيضاً بلفظ: «حياتي خير لكم تُخَدِّثُونَ وَيُخَدِّثُ لَكُمْ،
فإذا ماتت كانت وفاتي خيراً لكم، تُعْرَضُ عَلَيَّ
أَعْمَالِكُمْ: فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شراً

استغفرت لكم».

قال في [الجامع] وشرحه: رواه ابن سعد في طبقاته^(١) عن بكر بن عبدالله المزني مرسلًا ورجاله ثقات.

وكذا ذكره الغزالي في [الإحياء] بهذا النحو، لكن الحافظ العراقي هذمه تهديماً، وحطمه تحطيماً! فقال: رواه البزار من حديث ابن مسعود، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عبد المجيد بن عبدالعزيز بن أبي رواد - وإن أخرج له مسلم، ووثقه ابن معين - فقد ضعفه كثيرون.

وفي رواية الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بن مالك بنحوه بإسناد ضعيف. قلت: والقاعدة عند المحدثين: أنه يجوز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ما لم يشتد ضعفه، وإلا

(١) انظر: [الطبقات] لابن سعد (٢/٢/٢)، و[الكامل] لابن عدي (٩٤٥/٣).

فلا يجوز إلا مقروناً بالبيان .

وهذا الحديث - زيادة على أنه سقط منه الصحابي ، وضعفه الكثيرون - فهو معارض بما رواه أحمد والبخاري ومسلم ومالك في موطنه وأبو داود : أنه عليه السلام قال : « ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض ، حتى إذا رأيتهم وعرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول : يا رب ، أصحابي أصحابي ، فيقال لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: ١١٧] فيقال : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم »^(١) .

محل الشاهد : أن الحديث الشديد الضعف يقول : (تعرض عليّ أعمالكم) أي هو يعلم ما عليه أمته من

(١) متفق عليه من حديث أنس : البخاري (٢٠٧/٧) ، ومسلم

(٤/١٨٠٠) رقم الحديث (٢٣٠٤) .

والحديث المذكور بالمعنى ، وفيه تداخل مع حديث ابن عباس عند البخاري (٤/١١٠) .

خير أو شراً والحديث الصحيح يقول: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وبهذا يتحل الإشكال، ويُقفل باب التراخي والجدال، والحمد لله على كل حال.

* * *

فائدة مهمة جداً

أخرج الإمام أحمد عن طارق بن شهاب : أن رسول الله ﷺ قال : « دخل رجل الجنة في ذباب ودخل رجل النار في ذباب » ، قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يَجُوزُهُ ^(١) أحد حتى يقرب إليه شيئاً ، فقالوا لأحدهم : قَرَّبْ ولو ذباباً ، فقرب ذباباً ، فخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا للآخر : قرب ، قال : ما كنت أقرب لأحد غير الله عز وجل ، فضربوا عنقه ، فدخل الجنة ^(٢) .

وأخرج الترمذي وصححه ، عن أبي واقد الليثي

(١) جاز الموضع : سلكه وسار فيه ، يجوز جوازاً . اهـ . [مختار

الصحاح] .

(٢) أخرجه : أحمد في [الزهد] ص ١٥ ، وأبو نعيم في [الحلية]

(١/٢٠٣) ، وابن أبي شيبة في [المصنف] (١٢/٣٥٨) رقم

الحديث (١٣٠٨٤) .

قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة^(١) يعكفون عليها وينوطون بها^(٢) أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فقلنا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ»، لتركيبن سنن من كان قبلكم^(٣).

وأخرج الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه من حديث عمر^(٤): أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، وفي رواية: «فقد كفر»^(٥).

(١) السدر: شجر الثيق.

(٢) ينوطون: أي يعلقون.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/٤١٢، ٤١٣) رقم الحديث (٢١٨٠) بنحوه.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ابن عمر، كما يعلم من مراجعة الترمذي والحاكم. (الأنصاري).

(٥) أخرجه الترمذي (٤/٩٣، ٩٤) رقم الحديث (١٥٣٥)، والحاكم (١/١٨، ٥٢) و(٤/٢٩٧).

وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن عقبه بن عامر عنه عليه السلام: «من علق تميمة فقد أشرك»^(١).

وأخرج الإمام أحمد والحاكم عن أبي هريرة أنه عليه السلام قال: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»^(٢).

وروى مسلم وغيره عن النبي عليه السلام قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه»^(٣).

وفي سنن أبي داود والترمذي وصححه عن ابن مسعود عنه عليه السلام: «الطيرة»^(٤) شرك، الطيرة

(١) أخرجه أحمد (١٥٦/٤)، والحاكم (٤١٩/٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٩/٢)، والحاكم (٨/١).

(٣) [الجامع الصحيح] لمسلم من حديث أبي هريرة (٢٢٨٩/٤) رقم الحديث (٢٩٨٥).

(٤) الطيرة شرك. هذا صريح في تحريمها، وأنها من الشرك؛ لاعتقادهم أن الطيرة تجلب نفعاً أو تدفع عنهم ضرراً. وقد ورد في الأثر المرفوع: (من ردت الطيرة فقد قارف الشرك)، ومن هؤلاء =

شرك... (١)

وللنسائي عن أبي هريرة: «من عقد عُقْدَةً ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك» (٢) الحديث.

وإذا علمت أن الرسول ﷺ أخبر بدخول مَنْ قَرَّبَ ذِياباً لغير الله النار.

وبأن مَنْ طلب شجرة لتعليق سلاحه بها من غير قصد عبادتها بمنزلة الشرك بالله، وطلب إله غيره.

وأن الحلف بغير الله وتعليق شيء للتشفي به، وتصديق العرَّاف والكاهن كالرَّمَّالين وضُرَّابي الوَدَعِ، كُفْرٌ، وأن عدم الإخلاص لله في العمل، والتطير،

= ناس يمتنعون عن أكل الجبن والسك في يوم الثلاثاء والأربعاء والسبت تطيراً. وهذا جهل قبيح نعوذ بالله منه.

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٠/٤) رقم الحديث (٣٩١٠)، واللفظ له، الترمذي (١٣٧/٤، ١٣٨) رقم الحديث (١٦١٤)، وابن ماجه (١١٧٠/٢) رقم الحديث (٣٥٣٨)، والحاكم (١٧/١).

(٢) أخرجه النسائي (١١٢/٧) رقم الحديث (٤٠٧٩) بتحقيق أبي غدة.

والسحر شرك بالله العظيم .

فاعلم أن دعاءك ونداءك غير الله يكون شركاً وكفراً
صريحاً من باب أولى ، وكذا استغاثتك والتجاؤك
لغيره لا شك عين الكفر والمحادثة لله ورسوله ﷺ .
فافهم ذلك ، واعمل عليه ، والله يتولى هُدايا
وهُداك .

وهذا آخر ما تيسر لي ذكره ، وصلى الله على محمد
النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم - أقول هذا
وأستغفر الله العظيم لي ولكم .
والسلام عليكم - أيها الأحبة الموحدون - ورحمة
الله وبركاته .

الفهرس العام للموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة المؤلف
٩	فصل : تعريف التوسل والوسيلة
١٢	فصل : توسل الصحابة بالنبي في حياته
١٥	فصل : موقفهم من التوسل به بعد مماته
١٦	فصل : أنواع التوسل المشروع وأدلتها
٢٤	فصل : بعض أنواع التوسل الممنوع
٢٨	أدلة إبطال التوسل الممنوع
	خلاصة مباحث الكتاب وذكر أنواع التوسل
٤٢	عموماً
	فصل : بعض الأحاديث الباطلة التي استدل بها
٤٥	مجيزو التوسل الممنوع والرد عليها
٤٩	فصل : سياق بعض بعض الأدعية القرآنية

- فصل : سياق بعض الأدعية النبوية ٥٤
- خاتمة : في بعض شبه يحتج بها الجهلاء
والمصرحون بالتوسل من أهل العلم ٥٦
- فائدة مهمة جداً : خطر الشرك وبيان بعض صورته ٧١
- الفهرس العام للموضوعات ٧٧



رقعة إدارة البحث العلمي والإحصاء

أ - الرياض

الستترال: ٤٥٩٥٥٥٥ - الرمز البريدي: ١١١٣١

فاكسملي: ٤٥٩٦٢٩٢ - تلكس: ٤٠٣٠٩٠

٤٥٩٦٩٤٣ - إفتساء إس جي

ب - مكة المكرمة

٥٥٨٩٨٢٥

الستترال: ٥٥٨٩٨٢٤ فاكس: ٥٥٨٨٧٨٧

الامانة العامة لهيئة كبار العلماء

ستترال: ٥٥٨٨٠٠٧

ج - الطائف

الستترال: ٧٢٢٠٩٠٠ فاكسملي: ٧٢٢٣٣٨٠

٧٢٦٩٤١٦

تلكس: ٧٥٠٣٦٧